

يكون السباق الأول مناسبة يستحيل أن أنها ما حبيت ولحظات إثارة وترقب ما زلت أشعر بها كلما تذكرتها إنها اللحظات الأولى دائمًا تبقى معناً تذهب الخيال الأول، هي لحظات تبقى محفورة للأبد. انتشرت أخبار التحدى الذي أعلنه والدي في كافة الأرجاء جهز الشيخ مكتوم "العودة"، المهرة القادمة من سلالة "ويتن"، وكان الشيخ حمدان يعمل مع الفرس "حمدانية" أما أنا فكنتُ سعيداً مع فرسي "أ محلج". توالى أفواج الناس الذين حضروا من مناطق الإمارات كافة. وعندما شعرت عائلتي وشعب دبي بأسره بأنها دعوة عامة قام كل بيت بالطهي لأبناء القبائل القادمين لحضور الحدث، رجالاً ونساءً جمعت الحيوانات وذبحت استعداداً للمناسبة وكانت النساء قد أعدن العطور منذ أسابيع ليتطيب بها الضيوف بعد تناول الطعام وكان الرجال الذين يفرضون الشعر يحضرون قصائدهم ويتمرنون على القائهما، ويقومون بتشذيبها في المجلس "لقرأ على مسامع الزوار الشيوخ وهناك من الرجال من كان يقوم بنشر الأخبار عن امتلاكه حصاناً عظيماً لا يمكن الحصان آخر أن يهزمها" ولدي بتسوية طريق بطول كيلومتر في شاطئ جميرا، وقام متنافسو الإمارات المجاورة بنصب خيمهم على الشاطئ، وخيموا هناك مع خيولهم، حيث وضعت الأعلام عند خطى البداية والنهاية ويدلنا ما في وسعنا لتزيين المشهد بإمكاناتنا الفليلة، بيد أن الناس هم الذين تولوا إعداد معظم الزينة بأنفسهم وكانت أجواء الترقب مثيرة جداً. أما الحماسة التي اشتعلت قبل السباق فستعيش معى حتى آخر يوم في حياتي. وأحدثها عن السباق الذي ينتظرا، فغداً ستكون فرصتنا لنثبت أنفسنا أمام والدي وجميع أصدقائي. ولاحظت أن الأرض تمت تسويتها بشكل جيد لكن كان هناك شق عميق عند أطرافها مثل الكتبات الرملية الصغيرة، والأفضل في هذه الحالة أن يبقى المرء في وسط الطريق. نقصت النوم من عيني، وفتحتهما وأغلقتهما أكثر من مرة وأنا أتساءل فيما إذا كانت الأحلام هي السبب في غيش الرؤية الذي أحسه لكنه الضباب على ما يبدو فقد كانت طبقة سميكه منه تغطي شاطئ جميرا و كان الشيخ والمتسابقون قد جلسوا لشرب القهوة وتناول التمر ومناقشة أحوال الطقس. سحبـتـالـكنـدورـةـ"ـالـتيـ قـصـرـتـهاـ وـارـتـدـيـتـهاـ عـلـىـ عـجـلـوـتـوـضـأـتـ وـصـلـيـتـ.ـ ثـمـ سـارـعـتـ إـلـىـ فـرـسـيـ لـأـغـسـلـ ضـمـادـهـ وـأـطـعـمـهـ قـبـلـ ذـهـابـيـ لـسـمـاعـ الـأـخـبـارـ أـنـجـزـتـ كـلـ شـيـءـ وـرـكـضـتـ لأجلـسـ عـنـ قـدـميـ وـالـدـيـ،ـ وـأـعـطـانـيـ أـحـدـ أـصـدـقـائـهـ خـيـراـ وـقـهـوةـ.ـ وـهـاـ هوـ السـبـاقـ عـلـىـ وـشـكـ أـنـ يـبـدـأـ،ـ فـقـدـ اـرـتـأـيـ أـنـ الضـبـابـ لـنـ يـشـكـ خـطـرـاـ عـلـيـهـ وـلـنـ يـحـولـ دونـ إـطـلاقـ؛ـ إـذـ يـمـكـنـ الرـؤـيـةـ حـتـىـ مـسـافـةـ خـمـسـيـنـ مـتـرـاـ أـمـامـكـ حـيـنـاـ أـصـابـنـيـ التـوـرـ وـشـعـرـتـ بـأـقـبـاضـ ذـهـبـتـ لأـخـضـرـ فـرـسـيـ وـلـامـشـيـهاـ قـلـيـلاـ قـبـلـ السـبـاقـ،ـ وـكـانـتـ تـقـومـ بـخـطـوـةـ رـاقـصـةـ بـيـنـ الـحـيـنـ وـالـآـخـرـ لـكـنـهاـ مـشـتـ بـجـانـيـ بـاتـرـانـ عـمـومـاـ،ـ وـكـانـتـ عـضـلـاتـهاـ تـتـمـوجـ تـحـتـ غـطـائـهـ الـأـسـوـدـ.ـ مـسـحـتـ عـرـفـهاـ بـالـمـاءـ وـسـبـلـتـ شـعـرـهـ الطـوـيـلـفـظـلـهـ تـحـتـ اـشـعـةـ الشـمـسـ أـسـوـدـ اللـوـنـ بـمـسـحةـ منـ الـأـحـمـرـ عـنـ نـهـاـيـهـكـانـ هـنـاكـ آـخـرـونـ يـمـشـونـ أـحـصـنـتـهـمـ أـيـضاـ،ـ لـكـنـ فـرـسـيـ بـدـتـ وـكـانـتـ تـعـيـقـتـيـ تـولـيـ الشـيـخـ مـكـتـومـ تـدـرـيـبـ "ـالـعـودـةـ"ـ،ـ لـكـنـهـ طـلـبـ مـنـ سـلـوـمـةـ الـعـامـرـيـ قـيـادـتـهـاـكـانـ يـشـارـكـ دـائـمـاـ فـيـ هـذـهـ السـبـاقـاتـ لـكـنـ مـسـتـوـيـ الـمـجاـزـفـةـ الـيـوـمـ كـانـ عـالـيـاـ،ـ فـقـرـرـ اـخـتـيـارـ سـلـوـمـةـ بـسـبـبـ وـزـنـهـ كـانـ هـنـاكـ الـكـثـيرـ مـنـ الـأـحـصـنـةـ،ـ لـكـنـيـ كـنـتـ مـتـيقـنـاـ أـنـ "ـالـعـودـةـ"ـ هـيـ الـمـنـافـسـ الـأـشـدـ.ـ طـلـبـواـ مـاـ أـخـيـراـ رـكـوبـ أـحـصـنـتـنـاـ وـوـصـلـنـاـ جـمـيـعاـ نـقـطـةـ الـبـدـايـةـ.ـ وـوـقـفـ حـكـمـ الـبـدـايـةـ رـافـعـاـ مـسـدـسـهـ فـوقـ رـأـسـهـ وـالـكـنـدورـةـ تـخـفـ بـفـعـلـ الـرـيحـ،ـ فـتـبـتـ نـظـريـ عـلـىـ إـصـبـعـهـ التـيـ يـضـعـهـ عـلـىـ الـزـنـادـ مـحاـوـلـاـ تـحـدـيـ الـعـضـلـاتـ التـيـ سـتـطـلـقـ الرـصـاصـةـ خـاطـبـتـ أـمـ خـلـجـ بـلـطـفـ،ـ وـقـدـرـتـ أـنـهـاـ تـحـاـولـ الـاسـتـجـابـةـ لـكـلـمـاتـيـ وـالـتـفـاعـلـ مـعـهـ عـنـدـاـ لـاحـظـتـ تـحـركـ إـحـدىـ أـذـنـيـاـ الـحـائـرـتـيـنـ جـيـةـ وـذـهـابـاـ،ـ تـمـ اـحـتـيـتـ إـلـىـ الـأـمـامـ خـلـفـ رـقـبـتـهاـ الـكـبـيرـةـ وـرـبـيـطـ اـنـشـوـطـةـ فـيـ الـلـاجـامـ كـيـ لـاـ يـرـتـمـ بـفـمـهـ عـنـدـاـ تـنـدـفـعـ إـلـىـ الـأـمـامـ،ـ وـفـجـأـةـ،ـ وـعـلـتـ الـأـصـوـاتـ بـمـحـاذـةـ الشـاطـئـ.ـ لـقـدـ بدـأـ السـبـاقـ اـنـبـاسـيـ عـنـدـاـ اـنـطـلـقـتـ أـمـ خـلـجـ بـقـوـةـ هـائـلـةـ أـدـهـشـتـنـيـ.ـ فـتـبـتـ نـفـسـيـ عـلـىـ ظـهـرـهـ الـأـمـلـسـ لـأـنـيـ كـنـتـ أـسـابـقـ مـنـ دـوـنـ سـرـجـ.ـ وـكـانـ الـأـحـصـنـةـ مـنـ حـوـلـيـ تـنـدـفـعـ إـلـىـ الـأـمـامـ مـثـلـ مـوـجـةـ مـدـ وـجـزـرـ مـهـوـلـةـ،ـ وـأـمـتـلـأـ الـجـوـ يـصـيـحـاتـ الـفـرـسـانـ وـالـهـتـافـاتـ.ـ لـمـ يـنـطـلـقـ الـأـمـرـ سـوـىـ اـجـتـياـزـ 200ـ مـتـرـ تـقـرـيـباـ لـيـسـتـقـرـ السـبـاقـ عـلـىـ نـمـطـ مـعـيـنـ حـيـثـ تـقـدـمـ عـلـىـ سـلـوـمـةـ مـمـتـطـيـاـ "ـالـعـودـةـ"ـ،ـ وـبـدـاـ كـالـشـيـخـ فـيـ الـضـبـابـ قـبـلـ أـنـ يـحـتـفـيـ بـعـيـدـاـكـانـ يـتـوقـ إـلـىـ إـحـرـازـ مـرـكـزـ مـتـقدمـ مـنـ الـبـدـايـةـوـهـاـ هـوـ يـجـدـ فـيـ الـضـبـابـ عـطـاءـ يـحـمـيـهـ قـرـرتـ الـأـنـتـظـرـ مـعـ الآـخـرـينـ،ـ وـأـنـ أـحـبـ حـصـانـيـ عـلـىـ الـلـحـاقـ بـهـ.ـ وـعـلـىـ الرـغـمـ مـنـ أـنـ سـلـوـمـةـ كـانـ يـمـتـلـكـ الـخـبـرـ الـكـافـيـةـ لـيـعـرـفـ إـمـكـانـيـاتـ فـرـسـ الشـيـخـ مـكـتـومـ،ـ إـلـاـ أـنـيـ بـذـلـكـ جـهـدـيـ كـيـ لـاـ يـغـيـبـ عـنـ نـاظـرـيـاـسـتـعـجـلـتـ "ـأـمـ خـلـجـ بـقـدـميـ"ـ،ـ فـغـمـرـتـنيـ الـفـرـحةـ وـأـمـتـلـأـ قـلـبـيـ بـالـفـخـرـ وـأـنـاـ أـرـىـ اـسـتـجـابـتـهاـ وـإـصـرـارـهاـ عـلـىـ تـخـطـيـ الـعـودـةـ"ـفـهـلـ هـنـاكـ أـرـوـعـ مـنـ أـنـ تـنـطـلـقـ مـنـ حـصـانـ وـتـرـاهـ يـذـلـ قـسـارـيـ جـهـدـهـ وـبـمـحـضـ اـخـتـيـارـهـ كـيـ لـاـ يـذـلـكـ؟ـ كـانـ سـلـوـمـةـ قـدـ تـقـدـمـ عـلـىـ بـخـمـسـ خـطـوـاتـ وـسـاعـدـيـ الـضـبـابـ فـيـ تـقـلـيـصـ الـمـسـافـةـ بـيـنـتـاـولـكـنـ مـنـ دـوـنـ تـهـدـيـدـ مـرـكـزـهـ بـالـطـرـيـقـةـ نـفـسـهـاـ التـيـ سـاعـدـهـ فـيـهـاـ عـلـىـ الـمـحـافـظـةـ عـلـىـ هـذـهـ الـمـسـافـةـ.ـ لـاـ بـدـ أـنـهـ يـشـعـرـ يـشـيـءـ مـنـ فـرـسـهـ لـأـنـ صـوتـ الـجـوـافـرـ وـالـهـتـافـاتـ الـمـصـاحـيـةـ لـتـلـاطـمـ أـمـوـاجـ الـبـحـرـ يـمـكـنـ أـنـ يـبـلـعـ أـيـ صـوتـ آـخـرـ مـنـ حـولـنـاـ خـطـفـ نـظـرـةـ إـلـىـ الـورـاءـ لـيـفـاجـاـ مـمـسـكـاـ بـزـمـامـ أـمـ خـلـجـ،ـ التـيـ غـداـ رـاسـهـ قـرـيـباـ مـنـ خـاصـرـةـ "ـالـعـودـةـ"ـ وـهـيـ تـلـقـتـ أـنـفـاسـهـاـ الـلـاهـثـةـ الـمـتـلـاحـقـةـ مـنـ فـتـحـتـيـ أـنـفـاسـهـاـ الـحـمـراـوـنـ كـلـوـنـ الدـمـ.ـ كـانـ لـهـذاـ

المشهد وقع الصاعقة عليه كما تبدى لي، فغضضت على لسانى بشدة لأقمع ضحكة مجلجلة اجتاحتني فور أن رأيته على هذه الصورة. بي كان يُفضل الجانب الأيمن من الطريق وعندما رأى أحawل تجاوزه، راح يمبل باتجاهي دافعاً إبأي نحو الرمال العميقه، فشاهدت الراية في اللحظة التي لم يعد فيها متسع من الوقت للالتفاف، ولم يكن أمامي سوى السير إلى الأمام بصعوبة على الرغم من ذلك حتيت "أم خلخ لتعطيني كل ما لديها من قوّة ولم تدخل على بذلك أبداً، فعوضت مسافة القفزتين التي تقدم بها سلومة على وهي تعدو بتبخت في الرمال العميقه وشعرت أن قلبي قفز خارج جسدي عندما وجدتني أحاديه كتفاً يكتف، لكن "العوده" سبقتنا بخطوة واحدة خلال تمايل رؤوس الأحصنة وتبعني الشيخ حمدان في المركز الثالث. ودار أصدقاء والدي حول "أم خلخ" وأثنوا عليها وأنا أمشي إلى جوارها، فحرست على تهنتها بدوري حتى شعرت بالخذر يصيب يديوابتسم والدي وهو يخاطبني أحسنت يا محمد أحسنت فتمنيت أن تدوم هذه اللحظة إلى الأبدوفي تلك الأمسية خلال الاحتفالات جلست أنا والشيخ مكتوم والشيخ حمدان حول النار وكان رفقة كل منهما عدد من الرجال مع خيولهم. وكان من المتفق عليه أن "أم خلخ" أثبتت جدارتها حتى اللحظة الأخيرة. وكانوا محقين في ذلك، ولم يلمني أحد ، وكان الجميع فخورين بما أنجزته في سباقي الأول في أكون شعرت ببعض الضيق لافتقاري للمعرفة الكافية إلا أن هذا لم يقلل من شعوري بالزهو عندما قرر الشيخ حمدان إضافة فرسى إلى مجموعته من كان يتحمل أن الشقيق الأكبر الذي اوقره سببدي رغبته باقتناء فرس أعددتها بنفسي؟